جورج قنازع، كتاب اصلاح ما غلط فيه ابو عبدالله النمري مما فسّره من أبيات الحماسة أولا وثانياً.

عـمـلـه: ابو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بأبي محمد الأعرابي. سلسلة منشورات الكـرمل، رقم ٣. اصدار قسم اللغة العربية وآدابها، ومعهد دراسات الشرق الاوسط، في جامعة حيفا، ١٩٨٨. تنضيد وطبع مطبعة وأوفست الحكيم، الناصرة.

هـذا الـكـتـاب، الذي حققه وقدم له البروفسور جورج قنازع، يُنشر للمرة الأولى عن نسختين مخطوطتين. ولقد قسم المحقق هذا الكتاب الى اقسام ثلاثة:

الأول: ويحـتـوي على تقديم ومقدمة. وفي التقديم اشارة الى أهمية تحقيق المخطوطات لما في ذلـك مـن اسهام في احياء التراث. وتضم المقدمة دراسة متكاملة تناول فيها جورج قنازع مؤلـف الكتاب المخطوط أبا محمد الأعرابي ومصنفاته ومقومات شخصيته ومميزات أسلوبه. وتـضـم كـذلك وصفاً لنسختي المخطوط، ثم قائمة الكتب والرسائل التي تناولت **حماسة** أبي تمام. ثم ختم المحقِّق مقدمته بايضاح الطريقة التي اتبعها في تحقيق المخطوط.

الثاني: نص الكتاب وفيه الأبيات التسعون التي استلّها مؤلف المخطوط ابو محمد الأعرابي ليـثـبت غلط النمري في تفسيره لها. وفي هذا القسم يتجلى الجهد الكبير الذي بذله المحقِّق في شرح كـل مـايحـتـاج الى شرح، لـغـةً كـان ام مـثلا، اسماً او مضموناً، معتمداً على المراجع الموثوق بها.

الـثالث: فهارس الكتاب، وتشمل ثبتاً بالآيات القرآنية الوارد ذكرها في الكتاب. ويلي ذلـك ثـبـتٌ بالكتب، ثم الرواة، فالأمثال، فأبيات الحماسة، فالشواهد الشعرية. ثم ينتهي هذا القسم بثبت بالمراجع المائة والتسعة التي اعتمدها محقِّق الكتاب.

ويـضـم الـكـتـاب كذلك مقدمة باللغة الانجليزية مضاهية للمقدمة العربية المثبتة في أول الكتاب.

وينهج المحقّق في هذا الكتاب نهجاً علمياً أكاديمياً خالصاً. ويتجلّى هذا المنهج في عدّة سمات:

١ـ الحيادية، وهي سِمةٌ رئيسةٌ من سِمات العلماء والباحثين في حقل التحقيق، اذ أنّ المحقّق ـ رغم ايثاره، كأنسان، لمصدر من المصادر يراهُ ثقةً أكثر من غيره ـ يوردُ ما جاء في كل المراجع التي تناولت الموضوع بالبحث والدراسة. والحياديّة في مجال التحقيق ضرورةٌ لا بدّ منها، لأنّ التحقيق غير النقد مثلاً، اذ أنه أكثر أنواع الأدب بعداً عن المضامين الوجدانية للأدب، وعن النزعات الغريزية للانسان من ميل واتفاق، وكره واعتراض، وترجيح وانتقاص، بل انه أكثر انواع الادب قرباً من العلم المحض المُنَزّه الذي لا بقاءَ فيه الا للحقائق، ولا يصحُّ الا بعرض الآراء، كل الآراء. ولقد وقفتُ على أهميّة الحياديّة هذه أثناء مراجعتي للكتاب، اذ كثيراً ما استبدت بي عواطفي، وكثيراً ما اغاظني الاعرابيُّ النفّاج، وأثار فيّ شعوراً يحثّني على الدفاع عن النمري، أمام وابل انتقاصاته له واستعلائه عليه، وبتُّ متيقّناً أنَّ التحقيق يتطلّب المِراس والدراية وقهر النفس. وهذه بعضٌ من صفات ومقوّمات العلماء.

٢ـ الشموليّة، من حيثُ الاعتماد على المصادر، اذ أنّ المحقّق لم يبق مرجعاً، كتاباً كانَ أم مخطوطاً، رسالةً أم مقالة، الا واطّلع عليه، ليثبت من ناحية أن العلمَ رسالة مرهقة تشدُّ اليها الرحال، وليغني من ناحيةٍ أخرى عملية التحقيق التي قام بها، مثبتاً الرأي السائد المقبول، ومشيراً الى بقية الآراء في المصادر. ولقد تمثّلت هذه الشموليّة في المصادر المائة والتسعة التي اعتمدها المحقّق، وأثبتها في فصل الفهارس في نهاية الكتاب، والتي كانت له منهلاً لا ينضب في دراسته التقديميّة وفي تحقيقه للمخطوط.

وتجسّدت هذه الشمولية أيضاً، في أنّ المحَقق لم يكتفِ بالمراجع المتعلّقة بكتاب **الحماسة** فحسب كشرح المرزوقي والتبريزي وابن جني والعسكريّ وغيرهم، بل نراه يولي عناية كبرى باللغة والأمثال والبلاغة وعلم الأنساب، ولذا اعتمد وراجع أمهات الكتب في هذه المجالات. وهو بهذا يعطينا المثل الدقيق والكامل لمعنى شموليّة التحقيق.

٣ـ الدّقة اللغوية، وتتجلّى هذه السِّمةُ بضبط غالبية الأبيات والأسماء والأمثال بالشكل. وضبط النصوص بالشكل ضرورة لا بدَّ منها، وذلك مهمّة يتطلب أداؤها أعمقَ المعرفة لقواعد العربية وأوزان الشعر العربي وأتمَّ الالمام بأصول الأسماء العربية وعلم الأنساب. وقضية ضبط الاسماء (الشعراء والشاعرات والقبائل وغيرها) بالشكل، قضية غايةٌ في الأهمية كما سأبيّن فيما بعد.

٤ ـ **الابانة**، وتظهر هذه السمةُ في الوضوح الذي يحسُّ به القارىء والدارس للكتاب، ولا يخفى عن أحد من الدّارسينَ أنّ قراءة النصوص القديمة، معضلةٌ بحدّ ذاتها، لا لحوشي الألفاظ فحسب، بل لغموض التراكيب وكثرة التضمينات والاقتباسات. وأيّ توضيح يريده الدارس أكثر من الأمثال التي تزيد عن الستين، والتي شرحها المحقّق ذاكراً مناسبة كلٍّ منها، مشيراً الى أصلها وروايتها في مصادر الأمثال والمعاجم اللغويّة؟ واي توضيح يبغيه الدارس أكثر من شرح كل ما استعصى من الكلمات والمعاني؟

٥ ـ **التسهيل**، وتتجسّد هذه في الفهارس المختلفة، وحقيقة اثباتها في نهاية الكتاب تنم عن دقةٍ متناهية، وصبر علميّ فذّ. فلو نظرنا الى فهرس الأمثال ـ مثلاً ـ لوجدناه مرتباً على حروف الهجاء العربية.

ولا يسعنا إلاّ ان ننوّه بالجهود التي بذلها المحقّق كي يسهّل على الدارس الوصولَ الى مراده بأقصر وقت وعلى أتم وجه. ولنا طِلبتان لا تعدوان عن كونهما رجاء يسبق الطبعة الثانية للكتاب، ولقد رأينا ان نشير إليهما لما فيهما من الافادة والتقويم.

الأولى: لا يخفى أن في أسماء الشعراء والعلماء القدامى حقلا خصبا للوقوع في الخطأ من حيث ضبطها بالشكل. فكم طالب، بل معلّم، يقف حائراً أمام بعض الاسماء غير المشكولة فتسمعه يخلط بين **حَميد وحُمَيد**، وبين **حِجْر وحَجَر**. وكم طالب ما زال يتعلم غزليات عبدالله **ابن الدَّمِينة** أحيانا **وابن الدُّمَينة** أحياناً أخرى. وتسمع من يقول **مَطِير** ومن يقول **مُطَير** ويجعل **متمّماً** (ابن نويرة) حيناً على صيغة اسم المفعول وأحياناً على صيغة اسم الفاعل. ويفعل باسم **المنخّل** فعله باسم **متمّم**. ومثل هذه القائمة في الأسماء تطول. لذلك، حبذا لو أكمل المحقّق ـ في الطبعة القادمة ـ ما بدأ به مع قسم كبير من هذه الأسماء. حبذا لو ضبط **بولان** (ص ٣٦)، **والخطيم** (ص ٣٧)، **وفقعس** (ص ٤٣)، **ودهبل** (ص ١٠٥)، **وحميد** (ص ١٢٣)، كما ضبط اسم **الحسين بن مطير** (ص ١٠٠)، **وزميل بن أبير** (ص ١٠٩)، **وبشير** (ص ١١٠)، **وباعث بن صريم** (ص ٩٤). وبهذا يكون قد أسهم مشكوراً في وضع حد لحالة التسيّب في هذا المضمار.

الثانية: حبذا لو كان في الامكان تفادي نقص يعاني منه الكتاب، وأعني الأخطاء المطبعية الكثيرة التي انتشرت فيه، خاصة في مجال الحركات. ولقد أحصيتُ بضعةً وثلاثين خطأ مطبعياً، منها:

مع أنّ ابا عبدالله **النميري** (ص ١٨، ملاحظة ٣). قال **بعضَ** بني أسد (ص ٣٨). صوت **امريء وأست** ضبع (ص ٧٦). أبو حية النمري... وقد مرت ترجمته في ٦٤-٥ (ص ١٠٣، ملاحظة ١)، والصحيح: في ٦٤ - ٦. **لا تشفع** السعفة (ص ١٣٧)، وقد وردت صحيحة - تنفع - في النص (ص ٦٠). قال **زليل** (ص ١٤١)، وقد وردت صحيحة - زميل - في النص (ص ١٠٩). كما **أُعدَّكم** (ص ٤٤).

هذا بالاضافة الى زحزحة الحركات آليّاً يميناً وشمالاً، وهذه ظاهرة منتشرة جداً، كما تظهر، مثلا، في ص ٧٦ في عجز البيت:

«بِعُتَيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ» اذ ورد العجز ممسوخاً هكذا:

«بِعُتَيبَة بَنْ الحِارث بِنْ شِهابِ»!

والكتاب بمجمله دراسة علمية جادة، تنمّ عن نظرة تمحيصية ثاقبة، وعن ذهن علمي خالص، ولهذا فهو جدير بأن يُقتدى كنموذج لعلم تحقيق النصوص. ولئن كان البروفسور قنازع قد أثرى بعمله هذا أدبنا ومكتباتنا، فاننا نؤكد ما أشار اليه في المقدمة من أن المخطوطات ما زالت تنتظر في المتاحف والجامعات والمكتبات، ولعل أولئك الذين يتخرجون على يديه ينهجون منهجه و يزيحون طبقات كثة من الغبار يختنق تحتها مشاهير وعظماء من علماء العربية الأفذاذ. أما جهود الأستاذ فلقد زادتنا علماً، وكفاه ما قاله الرسول العربي الكريم في شريف حديثه: «يوزَنُ، يومَ القيامة، مداد العلماء بدماء الشهداء».

الياس عطاالله